بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تنزيه الخليقة

عــــــن ضــــــلالات الوثيقـــــــة

شعر الشيخ المحدث:

أَبِي دُجانةَ الزَّيْنِيِّ

عند الشعراء ملكاتٌ طليقةٌ تقرِض في كل واد، من فخر ومدح ورثاء، وحماسة وعلوم وأخلاق، ولهو وزهو، وغير ذلك من مجالات الحياة .

وكانت عندي مُلَيْكة نزعت تاجها وجرَّدتُّها من حَلْيِها، وكمّمْتُ فاها وقلتُ: انتقبي واحتجبي واستحيي واسكتي، حتي أستنطقَكِ فانطِقي.

فكنت أتركها أعواما حتي تصدأ قوارضها، وتبهت أوزانها ويدرس عروضها، إلى أن أشمطها الشيب، فإذا صوتها ضعيف، وقرضها وئيد، وقد ضربها اليأس، وامتنع الإنجاب وذهب المحيض، وبدت عجوزًا أسيرة، وعادت بعد الملك جارية خادمة، ثم بعد الشباب عجوزا هرمة، فقد مضي عليها عقود لا تقرض ولا تكلم.

فلما استنهضتها لتقرض شيئا كانت قد تبلّدت وتوقّفت، لكنني لما أقرأتُها وثيقةَ الأزهر، التي تستولدُ البغلةَ وتُضحكُ البومةَ؛ سَرَتْ فيها الروحُ وتَهْتَهَتْ، ثم تلعثَمَتْ، ثمّ تكلمتْ، فقالت:

١ يــا محنـــةَ الإســـلامِ والإيمـــانِ ... والســـــنةِ الغــــراءِ والقـــــرآنِ

٢ قـد جُمِّعـتْ مِحَـنُ الحيـاةِ وعَضْـلِها ... بفجـــائعٍ وكـــوارثٍ وهــــوانِ

٣ خَلْـفٌ[1] أضـاعوا مجـدَنا يـا حسـرتا ... وَرِثَ الــذبابُ منــازلَ العِقبــانِ[2]

٤ وغـدا عَـرينُ الأُسْـدِ يخلُفُهـم بـه ... مــا بــينَ أوزاغٍ[3] ومــن جــرذانِ[4]

٥ أرءيــت مــا وخــز الفــؤاد وعضــه ... وأصــابه مِــن وافــرِ الأحــزانِ

٦ وغدا علي نفسي الجريحةِ بالأسي ... وأراعنِـــي وأهمَّنـــي وكـــوانِي

٧ أرءيـتَ أزهـرَ مصـرَ عُنـوانَ الهُـدي ... ومنـــارةَ الإيمـــانِ والعرفـــانِ

٨ مــاذا دَهــاهُ ومــا عَــراهُ ومــا جــرى ... صَــرْحُ العلــومِ وقبلــةُ الحيــرانِ

٩ عــاشَ القــرونَ يقــودُ أمَّــةَ أحمــدٍ ... بشـــريعةِ التوحيـــدِ والفرقـــانِ

١٠ وإذا بِخَلْـــفٍ قـــد أداروا أمـــرَهُ ... بِـــالكُفرِ والطـــاغوتِ والشـــيطانِ

١١ يبغـونَ تحويـلَ العبـادِ عـنِ الهـدى ... وعبـــادةَ اللهِ العظـــيمِ الشـــانِ

١٢ واســتبدلوا بالــدِّينِ كُفــرًا ظــاهرًا ... جــاءوا بــه مِــن عابـدي الصُّــلبانِ

١٣ فالــدِّينُ تحكــيمُ الشــريعةِ وحــدَها ... أمــــرُ الإلــــٰهِ الواحــــدِ الــــديانِ

---

(١) قال تعالى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ} [الأعراف: ١٦٩]، وأنشد للبيد رضي الله عنه:

ذَهَــبَ الَّــذِينَ يُعَــاشُ فِــي أَكْنَــافِهِمْ ... وبَقِيــتُ فِــي خَلْــفٍ كَجِلْــدِ الأَجْــرَبِ

وقال اللحياني: بقينا في خَلْفِ سَوْءٍ: أي بقية سوء. انظر: تاج العروس (٢٣/ ٢٤١).

(٢) العُقاب: طائر من كواسر الطير قويّ المخلب، ولفظه مؤنث، ويُجْمَعُ على "أَعْقُبٍ" و"عِقْبان".

انظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها (ص: ١٥٦).

(٣) (الوَزَغُ) سام أبرص (البرص) والجمع: أوزاغ. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ١٠٢٩).

(٤) الجُرْذَان جَمْعُ جُرَذ: وَهُوَ الذَّكَر الْكَبِيرُ مِنَ الْفَأر. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢٥٨).

١٤ فـأتى تلامـذةُ اليهـودِ بكفـرِهم قـد حَوَّلـوا التشـريعَ للإنسـانِ

١٥ وأبـوا قَبـولَ شـريعةِ اللهِ الـذي تـدبيرُهُ في سـائرِ الأكـوانِ

١٦ رفضـوا شـريعةَ ربِّهـم لعبيـدِهِ وتحـرَّرُوا مِـن رِبقـةِ الأديـانِ

١٧ رفضـوا سـيادةَ ربِّهـم وملـيكِهم جعلـوا السـيادةَ في بنـي الإنسـانِ

١٨ ويقـولُ قـائلُهم: ألا فتحولـوا في مِلَّـةِ الـدِّقراطِ والعَلْمـانِ(١)

١٩ والمـرءُ حـرٌّ في جميـعِ أمـورِهِ يختـارُ مـا يهـوى بـلا نُكـرانِ

٢٠ لـكَ أنْ تصـدقَ، أو تَعُـدَّ مقـالتي ضـربٌ مِـنَ التلفيـقِ والبُهتـانِ

٢١ لـو قـدْ علِمـتَ بـأنَّ قائـدَ كُفـرِهم هو شيخُ أزهرِ مصرَ!! ما أدهانِي!!

٢٢ أوَشـيخُ أزهـرَ؟ أمْ زعـيمُ ضـلالةٍ يـدعوا إلـى الإلحـادِ والكفـرانِ؟!

٢٣ فلقـدْ تحقَّـقَ فيـه قـولُ نبيِّنـا سـألوه: يـومُ الـدينِ أيَّ أوانِ؟

٢٤ فـإذا الأمانـةُ ضُـيِّعتْ، وأمـورُهم قـدْ وسَّـدوها للخئـونِ الجـانِي

٢٥ فـانظرْ قيـامَ قيامـةٍ مِـن بعـدِها فضـياعُها مِـن أعظـمِ البُرهـانِ

٢٦ أيحـوزُ في الإسـلامِ أعظـمَ منصـبٍ ويكـونُ داعيـةً إلـى الطغيـانِ؟!

٢٧ لا تنخـدعْ بعمامـةٍ وشـهادةٍ هـذا زمـانُ الـزُّورِ والبهتـانِ!!

٢٨ لـو أنَّ شـيطانًا تعمَّـمَ وارتـدَى زيَّ الصـلاحِ وخِلعـةَ الإيمـانِ

٢٩ أفكـانَ ذاكَ يُحِيلُـهُ عـنْ طبعِـهِ ودعائِـهِ للكفـرِ والطغيـانِ؟!

---

(١) يعني: ملة الديمقراطية، وملة العلمانية.

٣٠ كفرُ الزمانِ مُعمَّمٌ ومُكوْكلٌ[1]! ... وملوّنٌ لونًا لِكلِّ أوانِ!

٣١ وتراهُ يركبُ موجَ كلِّ جديدةٍ! ... ويحيكُ كلَّ مقالةٍ بِلسانِ!

٣٢ ولقدْ تراهُ واعظًا ومُذكِّرًا! ... ولقدْ تراهُ عابدَ الشيطانِ!

٣٣ أسمِعتَ بالحرباءِ في تَلْوانِها[2] ... فَهُمُو أجادُوا صنعةَ التَّلْوانِ

٣٤ يا معشرَ العلماءِ يا أهلَ النهي ... من ذا يُجيب بواضحِ البرهانِ

٣٥ إنْ كانَ للإيمانِ فضلُ مراتبٍ ... وبها المنازلُ في فسيحِ جِنانِ

٣٦ فكذاكَ كفرُ الكافرينَ بربِّهم ... دركاتُ ذُلٍّ في لظى النِّيرانِ

٣٧ أرءيتَ كفرَ المشركينَ بربِّهم ... وسجودَهم ودعاءَ ذِي الأوثانِ

٣٨ ومقالَهم: إنَّا سجدنا للذي ... يقضي حوائجَنا لدى الدَّيَّانِ

٣٩ زَعَمُوا السجودَ لها يقرِّبُهم إلى ... ربِّ البريةِ خالقِ الأكوانِ

٤٠ أَفَكُفْرُهُم هذا أشدُّ ضلالةً ... أمْ كفرُ رافضِ شِرعةِ الرحمنِ؟

٤١ فَلَرَفْضُ تحكِيمِ الشريعةِ في الورَى ... أعتَى وأفحشُ مِن دُعا الأوثانِ

٤٢ إذْ كفرُ إبليسَ اللعينِ مدارُهُ ... تركُ الخضوعِ لأمرِ ذي السلطانِ

٤٣ فإِباؤُهُ أمرَ الإلٰهِ ورفضُهُ ... أعتَى وأشنعُ منهُ في الميزانِ

٤٤ ولقدْ عزمتُ عليكُمُو أهلَ النُّهى ... والعلمِ والآياتِ والبرهانِ:

٤٥ أوَليسَ رفضُ شريعةِ اللهِ الذي ... أمرَ الورَى بالعدلِ والميزانِ

---

(١) معمم ومكوكل: يتزيا بزي علماء الأزهر، العمامة والكاكولا.

(٢) التَّلوان هو التلوُّنُ؛ قال الفيومي: (فَصْلٌ) يَجِيءُ الْمَصْدَرُ مِنْ فِعْلٍ ثُلَاثِيٍّ عَلَى تَفْعَالٍ بِفَتْحِ التَّاءِ نَحْوُ التَّضْرَابِ وَالتَّقْتَالُ. انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢/ ٦٩٩).

٤٦ هــو كفــرَ إبلــيسَ اللعــينِ ودأبَــهُ وأشــدَ مِــن تعظــيمِ ذي الأوثــانِ

٤٧ واللهِ مــا يــدعو إلــى غيــرِ الهــدى إلا كفـــــورٌ بـــــالغُ البهتـــــانِ

٤٨ يـــا كـــافرينَ بــــربِّهم وإلــــٰهِهِم يـــا تـــابعينَ المـــذهبَ العلمـــانِي

٤٩ كُفُّـــوا قبـــائحَكم ووارُوا كفـــرَكم يـــا طُغمـــةَ الطـــاغوتِ والشـــيطانِ

٥٠ فلقــدْ تجــاوزَ كفــرُكم وضــلالُكم هَــا تســتبدلونَ الكفــرَ بالإيمــانِ

٥١ فلبِــئسَ مــا قلــتُم مقالــةَ كــالحٍ: هيـــا إلـــى الـــدَّقرطِ والعلمـــانِي

٥٢ زولــوا لعمــرُ اللهِ موتــوا بغــيظِكم لـــمْ يرتـــدِدْ عـــنْ دينِـــهِ ربـــانِي

٥٣ لــنْ نرتضــي غيــرَ الإلــٰه مُشَــرِّعـًا لا أمـــــرَ إلَّا للعظـــــيمِ الشـــــانِ

٥٤ مَــن بــدَّلَ الشــرعَ الحكــيمَ برأيِــهِ أوْ رأْيِ آخـــرَ بـــاءَ[1] بـــالكفرانِ

٥٥ فـــالحكمُ للهِ المعظـــمِ ربِّنـــا لا حكــمَ في شــيءٍ لأحــدٍ ثــانِي

٥٦ ولَكُـــم مقـــالٌ يقشـــعِرُّ لهولِـــهِ جِلْـــدُ الموحـــدِ عابـــدِ الـــدَّيَّانِ

٥٧ أجعلــتُمُ اســتفتاءَ شــعبٍ جاهــلٍ حَكَمًـا علـى التشـريعِ والقـرآنِ؟!

٥٨ يـــا ميِّتـــينَ قلـــوبُهُم وعقـــولُهُم لِـمْ قـدْ خُلِقْـتُم يـا بنـي الإنسـانِ؟!

٥٩ لــو تعلمــونَ ســبيلَكم ومصــيرَكم لكففتمـــو حقًّـــا عـــنِ الهَـــذَيَانِ

٦٠ وعبـــدتمو ربَّ البريَّـــةِ خُشَّـــعا وَحَـــذِرْتُمُو حقًّـــا مـــنَ النِّيـــرانِ

٦١ يـا حسـرةَ اللَّاهـي عـنِ اليـومِ الـذي تَبْــيَضُّ منْــهُ مَفَــارِقُ الوِلــدانِ

٦٢ وَتَـرَى الحوامـلَ أجهضـتْ أحمالَهـا وكـــذا الوليـــدُ يعـــودُ كالشـــيبانِ

---

(١) باء بالشيء: رجع به، أي لقي الله به؛ قال ابن الأثير: وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُما» أَيِ الْتَزَمَه ورَجَع بِهِ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٥٩).

٦٣ وتري المراضعَ قدْ ذَهَلْنَ لهولِهِ ... عنْ رحمةٍ لوليدِها وحنانِ

٦٤ والناسُ سكرَى لا بِفعلِ مُدامةٍ ... لكنْ بهولِ مذلةٍ وهوانِ

٦٥ فالحمدُ للهِ العليِّ إلٰهِنا ... ربِّ البريةِ خالقِ الأكوانِ

٦٦ ولهُ المحامدُ والمدائحُ كلُّها ... ولهُ أُقَرِّبُ مُهجَتي وبنانِي[1]

٦٧ فيا ربِّ ثبتْني على دربِ الهُدَى ... واقبلْ وباركْ سيدِي قُربانِي

٦٨ واقبلْ صلاتي على النبيِّ محمدٍ ... خيرِ البريةِ عابدِ الرحمنِ

٦٩ ولهُ السلامُ معَ المحبةِ والرضَى ... والآلِ والأصحابِ والإخوانِ

٧٠ وهو الشفيعُ المرتجَى لِمُلِمَةٍ ... لا يجتري[2] فيها كريمٌ ثانِي

٧١ والحمدُ للهِ الكريمِ بفضلِهِ ... وَضَحَ السبيلُ وتَمَّ لِي بُنيانِي

٧٢ سبعونَ بيتًا في بيانِ قضيَتي ... ومقالِ حقٍّ بعدَها بيتانِ

---

(١) قال الخليل: البَنَانُ أطرافُ الأصابع في اليدَين. والبَنَان في قوله تعالى: (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال ١٢]، يعني الشّوَى، وهي الأيدي والأرْجُل. قال: وقد يجيء في الشّعر البَنانَة بالهاء للإصبع الواحدة. وقال:

لا هُمَّ كَرَّمْتَ بَنِي كِنانَهْ ... ليس لِحَيٍّ فوقَهُمْ بَنَانَهْ

أي لأحدٍ عليهم فضلٌ قِيسَ إصبع. ... وقال أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ الزجاج: واحد البَنانِ بَنَانةٌ. ومعناه في قوله تعالى: {وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال ١٢]، الأصابعُ وغيرها من جميع الأعضاء. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٩١).

(٢) لا يجتري: لا يجترئ، خفف الهمز.